سير أعلام شهداء الثورة السورية

القائد العسكري أحمد خليفة المحيميد - أبو خليفة بصرى الشام

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

ربيع الأول 1443 هـ

المقدمة

الحمد لله الغني الكريم، العزيز الحكيم، الخبير العليم، والصلاة والسلام على نبي الهدى الهادي إلى الصراط المستقيم والطريق القويم، وعلى آله وصحبه أصحاب الفضل الجسيم والخير العميم.. وبعد؛

فهذه سيرة القائد العسكري الأبي النشيط، خائض الغمرات في مواطن الهلكة، المبادر إخوانه إلى ساحات الوغى، المبغض للظلم والعسف، أبي خليفة بصرى الشام.

وقد اعتمدت في تدوين سيرته على شهادة إخوانه وخلانه، وهم:

- القائد العسكري أبو رغد الباشق.
- الأخ أبو سعيد الشاعر.
- الأخ يحيى عياش.
- الأخ أبو النصر درعا.
- الأخ أبو اليَمن درعا.
- الأخ أبو جعفر بصرى الشام.
- القائد العسكري أبو بلال أبو سرية.
- الأخ أبو الخطاب سلفر.
- الشيخ الزبير الغزي.
- الأخ أبو مازن درعا.
- الأخ أبو صلاح اللوجستي.
- الأخ أبو اليمان الشيخ مسكين.

ولادته ونشأته:

أحمد خليفة المحيميد نشأ في أسرة تتمتع بالسمعة الطيبة والخيرية.

لم أتمكن من معرفة تاريخ مولده، ولكن من باب التقريب ولد في وسط العشرية الثامنة من القرن الفائت.

يقول الباشق: أهله من خيرة الناس.

كان قبل الثورة يعمل في نجارة الباتون، وكان مجدا في عمله معرضا عن تفاهات الأمور وسفاسفها، وقد سافرا إلى لبنان مرارا ابتغاء رزق الله من خلال صنعته، وقد أكسبه عمله بنية قوية جدا.

تزوج أبو خليفة زوجتين ولم يرزق منهما بأولاد

تسلمه القيادة في بصرى الشام ثم القنيطرة:

كان أول انتسابه إلى الجهاد أن التحق بجبهة النصرة في بصرى الشام وأثبت كفاءة في عمله، مما أهله لاستلام القيادة فيها بعد استشهاد أبي حسين النعيمي.

يقول الباشق: بعد اغتيال القائد العسكري أبي حسين النعيمي رحمه الله تسلم أبو خليفة قيادة بصرى الشام، وكان اليد اليمنى له وشخصيته تشبه شخصية أبي صلاح رحمه الله، فهو جريء، كثير العمل، قليل المرور على أهله، ذكيا يعرف كيف يتعامل مع الناس، كان يقدم السياسة على العمل العسكري، مع شدة اهتمامه بالعمل العسكري وكثرته، فما من يوم يمر إلا وتكون هناك ضربة أو اثنتان للنظام، قام بعمليات عسكرية كبرى في بصرى الشام وغيرها؛ كمعارك الجمرك والمناطق الشرقية والغربية، وكان من ضمن الفريق العسكري الذي يعتمد عليه القائد مختار رحمه الله، ثم أُمر بأن يتجه إلى القنيطرة، فقال له مختار: اترك بصرى للباشق واذهب إلى المنطقة الغربية، فتسلمتها وبقي معي أبو هشام محارب (سنفرده بترجمة إن شاء الله) وكان مختار يقول في أبي خليفة: سلمه عملا وأعطه ما يحتاج إليه ودعه فهو يدبر أمره.

يقول أبو جعفر: كان محبوبا في بصرى لصدقه وشجاعته، لم يكن يهاب الموت، وكان له صاحب يدعى عمر السمارة، فكانا يتسللان إلى خلف خطوط العدو ويفجران بيوت الرافضة، ومما أذكره أننا تسللنا لنفجر دارا في بصرى يتخذها الرافضة مقرا، وكان أبو خليفة معنا كأحدنا، حمل معنا ألغاما وزرعناها ثم فجرناها، فلم تنفجر، فأحضرنا لغما سابعا وقرأنا قرآنا على الألغام، ثم فجرناها فانفجرت.

وكان على سطح بناية قناص وهي معروفة ببناية الناصر، وقد قتل كثيرا من الشباب وأفسد كثيرا، فقال أبو خليفة: أنا أدمرها إن شاء الله، فلما كان الليل أدخل عربة مملوءة بالألغام ثم فجرها فأضجع البناية لجنبها.

ويقول أبو اليمن: تسلم الأمور العسكرية في بصرى مطلع عام 2013م، وكان يشرف على الرباط في بصرى التي كان بعضها محررا والبعض الآخر تحت سيطرة الرافضة، وكان الطريق المعتاد إلى القسم المحرر مقطوعا، ثم شن المجاهدون عمليين عسكريين تمكنوا من خلاله من تحرير حارة البدو والجمرك القديم ففتح الطريق، وكان القائد العسكري للجنوب هو مختار، فاحتك بأبي خليفة في تلك المعركتين فرأى منه همة وعزيمة وإقداما وشجاعة وهدوءا وفكرا عسكريا، فاستدعاه إلى المكتب المركزي في قرية غدير البستان في القنيطرة، وعينه مسؤولا عن الأمور الميدانية بشكل كامل، وهذا المكتب يحوي أغلب العسكريين كأبي المغيرة محجة وكونان وأبي العيناء الأردني وأبي همام وأبي خباب درعاوي وأبي اليمان.

شجاعته وأهم المعارك التي خاضها:

كان أبو خليفة رحمه الله شجاعا جدا تواقا للشهادة، حتى إنه سجل اسمه ليكون ضمن الاستشهاديين، ولكن مختارا منعه، وكذلك منعه أبو جليبيب.

يقول أبو مازن: كنت مرابطا معه في بصرى الشام، فقام وتسلل على العدو، ثم عاد بعد قليل وهو يقول: الله أكبر لقد قتله لقد قتله.

سرايا الناصرية:

يقول أبو اليمن: بدأت معركة سرايا الناصرية آخر عام 2013م وكان لأبي خليفة بصمة فيها، فقد كان على رأس الشباب المقتحمين وفتح الله السرايا ودخلها المجاهدون.

التل الأحمر الغربي:

يقول أبو اليمن: ثم حاصرنا التل الأحمر الغربي والشرقي عام 2014، ووضع مختار خطة تسلل، وكان أبو خليفة ودرعاوي وأبو اليمان ميدانيين، ولم يكن في الخطة تمهيد، رصد أبو خليفة طريق التقدم وكيف سيدخل المجاهدون وكيف سيصل إليهم الطعام والشراب وكيف يخلون الجرحى، ثم بدأ التسلل، فتسلق مجاهدان إلى الأعلى في التل الغربي، ثم ربطوا العمائم ببعضها حتى صارت حبلا، وأخذا يرفعان سائر المجموعة التي معهم وينتشرون تحت الدشم الإيرانية، فأحس بهم عسكري من العدو، فبدأ الاشتباك بعد وصولهم إلى خط الدفاع الأول للعدو، وكان عنصرا بالأمس قد انشق فأخبرنا بكل شيء، واستمرت المعركة حتى سيطرنا على التل كاملا، وكان ذلك مع المغرب، وفر العساكر إلى التل الشرقي، وهذا التل لا يبعد عن اليهود سوى مائة وخمسين مترا، وكان تحصينه في غاية القوة والمتانة، كله غرف من الباتون تحت الأرض، وقد استعصى خمسة من العساكر، فرمى عليهم أخ يدعى الشمالي لغما، بعد السيطرة قمنا بالتمشيط وتثبيت نقاط الرباط، والقصف وقذائف العدو كأنه المطر، فتل الجابية وتل الشعار وتل الحارة وتل كروم وتل أيوب ومدينة البعث كلهم يصبون حممهم على التل الذي حررناه، وكان تحرير التل الغربي نقلة نوعية لكثرة السلاح الذي غنمناه ونوعيته المتطورة، فقد غنمنا صواريخ مضادة للدروع كثيرة منها نون 29 ويدعى قاهر الميركافا وكونكورس وكورنيت، فضلا عن قذائف الهاون والذخائر والأسلحة الخفيفة، وأحكم الحصار تماما على التل الشرقي، وكان الجميع يظن أننا سنتوجه صباحا لاقتحام التل الشرقي.

معركة صد النظام عن سرية اليرزة:

يقول أبو اليمن: وبعد تحرير سرايا الناصرية وأثناء حصار التلين الشرقي والغربي جاء وزير الدفاع فهد الفريج، وقال لضباطه: أريد أن أنزع البوط العسكري على حدود الأردن،

فعلمت الجبهة أن أمامها عملا ضخما، فاستنفرت بشكل كامل لضرب سرايا الحلبي الشمالي منها والجنوبي ونبع الصخر وسرية زبيدة وسرية خميسة؛ لأن هذه النقاط هي نقاط انطلاق الجيش، وكان ذلك في الشتاء، فانتشر الشباب استعدادا للمعركة، وكنت في سرية محررة حديثا تدعى اليرزة، ولا تزال جثث عساكر النظام فيها، فوضعنا فيها كمينا رابط يومين، ثم بدلنا النوبة، ثم أدخلنا طعاما وذخيرة، وبدأت المعركة وسيطر المجاهدون على نبع الصخر، ثم انسحبوا منها، واستعصت سرايا رسم الحلبي، واستشهد من المجاهدين ستة، خمسة منهم بقيت جثثهم عند النظام، وجرح عدد آخر من المجاهدين، وتقدم الجيش نحو سرية اليرزة وخلفها تل الحارة والسرية ترابط على ضيعة كوم الباشا والجيش لا يبعد عنها سوى خمسمائة متر، وكنا في السرية وأبو حازم يقيم الصلاة لنؤدي فريضة الظهر، فقال: يا شباب هناك عساكر، فقلنا: ماذا تقول؟ وبدأ الاشتباك وجها لوجه، ولا يوجد طريق انسحاب لدينا ولا إخلاء ولا مؤازرة ولا إمداد، وكنا ثمانية رجال والعسكريون يراقبون المعركة من بريقة، ثم انقطع التواصل بيننا بعد أن نفد شحن القبضة، وسقطت قذيفة دبابة فاستشهد أبو حازم معربة وجرح أبو اليمان طفس وبترت أصابعه، وكان أميرنا أبو معاوية رامبو، فقال لنا: لا يوجد لدينا طريق انسحاب، وإذا اقتحم الجيش بالدبابات فليفتح كل واحد منا قنبلة يدوية ولينغمس فيه، ثم أصيب أحدنا في عينه، فقلنا له: هذا الطريق فأخل نفسك إن استطعت، فمضى وبقينا خمسة، ورمت دبابة ت 72 قذيفة فطار حجر وأصاب أبا عبدو الشيخ مسكين فأقعده عن الحركة، وظل كذلك طوال المعركة، وبقينا أربعة، وطار حجر فأصابني في رجلي والعساكر فوقنا ينادون: سلم نفسك، فقلت: سآخذ أبا اليمان الجريح وأحاول الخروج به إلى أقرب نقطة لعل بعض الشباب يسعفونه، فدخل عسكري فقتله المجاهدون، وكان خلفه عسكري آخر، فقال له الشباب: سلم نفسك عليك الرمان ولم يقولوا الأمان، فسلم نفسه فقتلوه، واستمر الاشتباك إلى المغرب، فحملت أبا اليمان وهو ينزف وسرت به شيئا قليلا، فسمعت صوتا فظننت أنه الجيش، وإذ هو أبو المغيرة محجة قد قدم ومعه ذخيرة وطعام ورجال، فبدل النوبة مع حلول الظلام ومضينا إلى المقر، فاستقبلنا مختار وأبو خليفة وجعلا يقبلان رؤوس الشباب، ويقولان: لقد أوقفتم الجيش كاملا، وصارت هذه المعركة مضرب مثل، وعطلت خطة الجيش التي كان يريدها وزير الدفاع فهد الفريج.

وبعد ستة أشهر حرر المجاهدون سرايا رسم الحلبي، كما سنذكر في موضعه إن شاء الله.

تنبيه مهم:

قلت: قد أبلى أولئك النفر من المجاهدين بلاء حسنا وثبتوا ثباتا عظيما، فنسأل الله أن يعظم أجورهم ويتقبل منهم ويجزيهم خير الجزاء، غير أنه هاهنا مسألة مهمة قد تخفى على كثير من المجاهدين كما خفيت على إخواننا هؤلاء، وهي أن المجاهد إذا قال عبارة ولم يقصد بها الأمان ولكن ظنها الكافر أمانا فسلم نفسه، فإن هذا يعتبر عاصما لدم الكافر ولا يحل للمسلم قتله، ولو كان صادقا في دعواه أنه لم يرد تأمينه.

روى مالك في الموطأ: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَتَبَ إِلَى عَامِلِ جَيْشٍ كَانَ بَعَثَهُ: أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَطْلُبُونَ الْعِلْجَ حَتَّى إِذَا أَسْنَدَ فِي الْجَبَلِ وَامْتَنَعَ قَالَ رَجُلٌ: مطرس (يَقُولُ: لَا تَخَفْ)، فَإِذَا أَدْرَكَهُ قَتَلَهُ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، قَالَ مَالِكٌ: لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ بِالْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ).

(وَسُئِلَ مَالِكٌ عَنْ الْإِشَارَةِ بِالْأَمَانِ أَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْأَمَانِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْجُيُوشِ أَنْ لَا تَقْتُلُوا أَحَدًا أَشَارُوا إلَيْهِ بِالْأَمَانِ؛ لِأَنَّ الْإِشَارَةَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، وَأَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْعَدُوَّ).

قال الباجي في المنتقى شرح الموطأ: (التَّأْمِينُ لَازِمٌ بِكُلِّ لِسَانٍ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ؛ سَوَاءٌ فَهِمَهُ الْمُؤَمَّنُ أَوْ لَمْ يَفْهَمْهُ، وَالِاعْتِبَارُ فِيهِ بِأَحَدِ الْجَنْبَتَيْنِ، فَإِنْ أَرَادَ الْمُؤَمِّنُ التَّأْمِينَ وَلَمْ يَفْهَمْهُ الْحَرْبِيُّ فَقَدْ لَزِمَ الْأَمَانُ، وَكَذَلِكَ إنْ أَرَادَ بِهِ الْمُؤَمِّنُ مَنْعَ الْأَمَانِ فَظَنَّ الْحَرْبِيُّ أَنَّهُ أَرَادَ التَّأْمِينَ فَقَدْ لَزِمَ مِنْ الْأَمَانِ أَنْ لَا يَقْتُلَهُ بِذَلِكَ الِاسْتِسْلَامِ، وَحُكْمُ الْإِشَارَةِ فِي ذَلِكَ حُكْمُ الْعِبَارَةِ وَالْكِنَايَةِ؛ لِأَنَّ التَّأْمِينَ إنَّمَا هُوَ مَعْنًى فِي النَّفْسِ

فَيُظْهِرُهُ تَارَةً بِالنُّطْقِ وَتَارَةً بِالْكِنَايَةِ وَتَارَةً بِالْإِشَارَةِ، فَكُلُّ مَا بُيِّنَ بِهِ التَّأْمِينُ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ كَالْكَلَامِ).

وقال: (وَقَوْلُهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا ضَرَبْت عُنُقَهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رَأَى قَتْلَ الْمُسْلِمِ بِالْمُسْتَأْمَنِ.

وَقَدْ قَالَ بِهِ أَبُو يُوسُفَ، وَمَنَعَ مِنْهُ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ: لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ بِالْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، يُرِيدُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَأْمَنًا فَإِنَّهُ لَا يُقْتَلُ بِهِ).

وقال السرخسي في شرح السير الكبير: (وَذُكِرَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ الْعَدُوِّ أَشَارَ إلَيْهِ رَجُلٌ بِأُصْبُعِهِ: إنَّك إنْ جِئْت قَتَلْتُك، فَجَاءَهُ فَهُوَ آمِنٌ فَلَا يَقْتُلْهُ. وَبَعْدَ هَذَا نَأْخُذُ فَنَقُولُ: إذَا أَشَارَ إلَيْهِ بِإِشَارَةِ الْأَمَانِ وَلَيْسَ يَدْرِي الْكَافِرُ مَا يَقُولُ فَهُوَ آمِنٌ؛ لِأَنَّهُ بِالْإِشَارَةِ دَعَاهُ إلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يُدْعَى بِمِثْلِهِ الْآمِنُ لَا الْخَائِفُ، وَمَا تَكَلَّمَ بِهِ: إنْ جِئْت قَتَلْتُك، لَا طَرِيقَ لِلْكَافِرِ إلَى مَعْرِفَتِهِ بِدُونِ الِاسْتِكْشَافِ مِنْهُ، وَلَا يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْرَبَ مِنْهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ إثْبَاتِ الْأَمَانِ بِظَاهِرِ الْإِشَارَةِ وَإِسْقَاطُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِلتَّحَرُّزِ عَنْ الْغَدْرِ. فَإِنَّ ظَاهِرَ إشَارَتِهِ أَمَانٌ لَهُ. وَقَوْلُهُ: إنْ جِئْت قَتَلْتُك، بِمَعْنَى النَّبْذِ لِذَلِكَ الْأَمَانِ. فَمَا لَمْ يَعْلَمْ بِالنَّبْذِ كَانَ آمِنًا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} [الأنفال: 58] أَيْ سَوَاءٌ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ فِي الْعِلْمِ بِالنَّبْذِ، وَأَشَارَ إلَى الْمَعْنَى فِيهِ فَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: 58] وَمَبْنَى الْأَمَانِ عَلَى التَّوَسُّعِ حَتَّى يَثْبُتَ بِالْمُحْتَمَلِ مِنْ الْكَلَامِ، فَكَذَلِكَ يَثْبُتُ بِالْمُحْتَمَلِ مِنْ الْإِشَارَةِ.

وَبَيَانُ هَذَا فِي حَدِيثِ الْهُرْمُزَانِ. فَإِنَّهُ لَمَّا أَتَى بِهِ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَهُ: تَكَلَّمَ. قَالَ: أَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ حَيٍّ أَمْ كَلَامِ مَيِّتٍ؟ فَقَالَ عُمَرُ: كَلَامُ حَيٍّ. فَقَالَ: كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ لَنَا وَلَا لَكُمْ دِينٌ. فَكُنَّا نَعُدُّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ بِمَنْزِلَةِ الْكِلَابِ. فَإِذَا أَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِالدِّينِ وَبَعَثَ رَسُولَهُ مِنْكُمْ لَمْ نُطِعْكُمْ. فَقَالَ عُمَرُ: أَتَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ أَسِيرٌ فِي أَيْدِينَا؟ أُقْتُلُوهُ. فَقَالَ: أَفِي مَا عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ أَنْ تُؤَمِّنُوا أَسِيرًا ثُمَّ تَقْتُلُوهُ؟ فَقَالَ:

مَتَى أَمَّنْتُك؟ فَقَالَ: قُلْت لِي تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ حَيٍّ. وَالْخَائِفُ عَلَى نَفْسِهِ لَا يَكُونُ حَيًّا. فَقَالَ عُمَرُ: قَاتَلَهُ اللَّهُ أَخَذَ الْأَمَانَ وَلَمْ أَفْطِنْ بِهِ. فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى التَّوَسُّعِ فِي بَابِ الْأَمَانِ).

وقال ابن مفلح في المبدع شرح المقنع: («ومن قال لكافر: أنت آمن»، فقد أمنه لقوله عليه السلام يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن» كقوله: لا خوف عليك، ولا تذهل، وكما لو أمن يده أو بعضه، «أو: لا بأس عليك»؛ لأن عمر لما قال للهرمزان: لا بأس عليك، قالت له الصحابة: قد أمنته لا سبيل لك عليه. رواه سعيد. «أو: أجرتك» لقوله عليه السلام: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» «أو: قف» كـ: قم، «أو: ألق سلاحك» لأن الكافر يعتقده أمانا أشبه ما لو سلم عليه «أو: مترس» ومعناه لا تخف، وهو بفتح الميم والتاء وسكون الراء وآخره سين مهملة، ويجوز سكون التاء وفتح الراء وهي كلمة أعجمية، «فقد أمنه» لقول ابن مسعود: إن الله يعلم كل لسان فمن كان منكم أعجميا فقال مترس فقد أمنه.

والإشارة كالقول؛ قال عمر: لو أن أحدكم أشار بأصبعه إلى السماء إلى مشرك فنزل إليه فقتله لقتلته. رواه سعيد، وقال أحمد: إذا أشير إليه بشيء غير الأمان فظنه أمانا فهو أمان، وكل شيء يرى العلج أنه أمان فهو أمان).

وفي المجموع شرح المهذب: (ويصح الأمان بالقول، وهو أن يقول: أمنتك أو أجرتك أو أنت آمن أو مجار أو لا بأس عليك أو لا خوف عليك أو لا تخف أو مترس بالفارسية وما أشبه ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمُ فتح مكة (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ) وقال لأم هانئ (قد أجرت من أجرت) وقال أنس لعمر رضى الله عنه في قصة هرمز: أن ليس لك إلى قتله من سبيل، قلت له: تكلم لا بأس عليك، فأمسك عمر.

وروى زر عن عبد الله أنه قال: (إن الله يعلم كل لسان فمن أتى منكم أعجميا وقال: مترس، فقد أمنه) ويصح الأمان بالإشارة؛ لما روى أبو سلمة قال: قال عمر رضي الله

عنه: (والذي نفس عمر بيده لو أن أحدكم أشار بأصبعه إلى مشرك ثم نزل إليه على ذلك ثم قتله لقتلته) فإن أشار إليه بالأمان، ثم قال: لم أرد الأمان، قبل قوله؛ لأنه أعرف بما أراده، ويعرَّف المشرك أنه لا أمان له ولا يتعرض له إلى أن يرجع إلى مأمنه؛ لأنه دخل على أنه آمن).

وإنما أكثرت النقل عن أهل العلم من المذاهب الأربعة في هذه المسألة - وهي ليست من موضوع الكتاب - لمسيس الحاجة إليها وأهميتها وكثرة الخطأ في هذا الباب من بعض المجاهدين، فإن الخطأ إذا وقع وجب إنكاره حتى لا يتخذ منهجا بعد ذلك، ولنا أسوة بفعل النبي عليه الصلاة والسلام عندما تبرأ من صنيع خالد رضي الله عنه عندما أعمل السيف في أناس قالوا: صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا.

معركة تل الجابية نيسان / 2014:

يقول أبو اليمن: فاجتمع العسكريون ومعهم مختار فوضعوا خطة تضمنت تثبيت كمائن للنظام في حال توجهه منسحبا إلى تل الحارة الكبير، وهو أعلى تل في المنطقة، وقرروا الهجوم على تل الجابية وهو أعتى حصون النظام، وهو الذي يحاصر نوى من سنتين ونصف ولا يوجد لها طريق سوى مشيا على الأقدام وهو خطر أيضا، توجهت الأنظار بسرية تامة إلى تل الجابية، وذهب أبو خليفة على رأس مجموعة من الشباب لرصد تل الجابية فرصده ومعه أبو اليمان الشيخ مسكين وأبو صلاح مسالمة.

يقول أبو اليمان: لبس لباس الرعاة وتقدم ليستطلع حتى لم يبق بينه وبين التل سوى أربعمائة متر.

يقول أبو اليمن: ثم اجتمعوا مع مختار ووضعوا الخطة، وكان فصيل شهداء اليرموك بقيادة الخال مشاركا في المعركة - قبل أن يصبح من الخوارج - وفصائل أخرى كثيرة، كل فصيل له محور، فالتل ضخم جدا وفيه عدد كبير من السرايا والقواعد، إضافة

إلى كثافة أشجاره، فقد كانت تغطيه أكثر من عشرة آلاف شجرة، وفي مقدمة التل يوجد قرية اسمها السكرية من الجهة الغربية الشمالية، أما من الجهة الغربية الجنوبية فكان المطبخ وحاجز العلان، ولا بد أولا من السيطرة على هذه النقاط لندخل الحرش ثم نصعد التل، فقال أبو خليفة لمختار - كونه ميداني الفصائل -: سنبدأ الهجوم على حاجز العلان سنمهد بقذيفة هاون ثم نقتحم، فضحك مختار ضحكا شديدا، وقال: قذيفة واحدة؟ قل: عشرون ثلاثون حشوة، هذه معركة، فقال: بإذن الله سيفتح الله علينا بنصف ساعة، انتشر الشباب في الساعة الثانية ليلة الخميس؛ وإذ بشهداء اليرموك ينسحبون، ويقول الخال: هذه مهلكة وأنتم تلعبون، وقال: إذا أخذتم التل فسأحلق لحيتي، أو سوف أحلق نصف شاربي ونصف لحيتي. يقول أبو اليمان: وسبب الانسحاب هو أمر من الموك، وكان جماعة الخال تابعين لها قبل أن يتحولوا إلى الخوارج، وانسحبنا لنرتب صفوفنا بعد انسحاب الكثيرين، وأثناء ذلك شاهد أبو اليمان عنصرا من الجيش الحر وبيده سيجارة، فقال له برفق: الله قال لك هذا طريق الجنة، لماذا تسلك طريق النار؟ قد تأتي في أي لحظة رصاصة أو قذيفة فتقتلك أفيسرك أن تلقى الله وبيدك السيجارة، وما زال يكلمه حتى رمى السيجارة وعاهد الله أمامه ألا يعود إلى التدخين.

يقول أبو اليمن: فتابع الشباب الرصد وتأجل العمل يومين أو ثلاثة بسبب انسحاب الخال، وغطت الجبهة النقص الحاصل ورصدوا القطاع الثاني، وأصروا على فتح الطريق لفك الحصار عن نوى التي كانت تضم بين جنباتها مائة ألف مسلم محاصر، وقد طلب أهلها أن ننصرهم، ثم بدأ العمل.

يقول أبو اليمان: بدأ التسلل في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وكان مشاركا معنا لواء أبابيل حوران بقوة وله ثقل كبير في المعركة، وأثناء التسلل شعر بنا الجيش فصار يقصف بمدفع 57 والمضادات، إلا أن المجموعات وصلت بحمد الله وثبتت في أماكنها، ثم قال أبو خليفة: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب.
يقول أبو اليمن: وكانت الصيحة الأولى لأبي خليفة في السادسة إلا خمس دقائق صباحا، عندما صرخ عبر القبضة: صبحيهم يا كتائب.

ويقول أبو النصر: قبيل بدء المعركة حصلت بعض المشاكل مع الفصائل المشاركة، فانسحب عدد من فصائل الجيش الحر، فقال أبو خليفة: سندخل وحدنا، ونتج عن ذلك نقص شديد في عدد المجموعات المقتحمة، فاختار أبو خليفة طريقا وعرا جدا لا يخطر قط على بال الجيش أن نتقدم منه، وظللنا نمشي أكثر من ثلاث ساعات حتى وصلنا إلى نقطة، فقال لنا أبو خليفة: هذه أصعب نقطة سنعبرها زحفا، فزحفنا قرابة ثلاثين مترا، وفتح الجيش نيران رشاش (ب ك س) فأطلق قرابة مائة طلقة ولم يصب أحد منا بأذى، ويبدو أن هذه النيران كانت عشوائية، وكنت أحمل على ظهري حقيبة ذخيرة (ب ك س) فخفت جدا أن تصيبها طلقة فتنفجر فيّ، ثم دخلنا ساقية ماء جافة، ودرنا حول التل، فصارت قرية السكرية في ظهرنا، وفيها نقاط للجيش، ودخلنا وسط الجيش، التل أمامنا والسكرية خلفنا، وانطلقت مجموعة إلى السكرية لتضرب الجيش هناك وتحمي ظهورنا، أخذنا نتسلل حتى وصلنا إلى الجهة الشمالية الغربية، وبدأت المعركة، فتح الله علينا واستشهد ثلاثين مجاهدا دفعة واحدة بصاروخ أرض أرض.

ويقول أبو اليمن: بدأت المعركة، وكان قطاعنا حاجز العلان والمطبخ والالتفاف على سرية المائتين ثم سرية الاستطلاع، أما المحور الثاني فضرب ما بين حاجز العلان والسكرية، وبعد ساعة تقريبا من بدء المعركة وفي السابعة تماما كان العقيد قائد التل مقتولا وسيطر الشباب على التل وأخذوا بتمشيط قمته، وسيطر أبو صلاح على سرية المائتين وثبت فيها نقاط رباط، وسار أبو اليمان الشيخ مسكين باتجاه سرية الإشارة وأخذ يمشط وينزع الألغام الفردية وثبت الشباب نقاطا على رأس التل، ولم يكن يخطر في بال أحد أن يسقط التل بهذه السرعة، حتى أن أبا معاوية رامبو قال لمختار: أنا صرت في رأس التل، قال له: هذا كمين انسحب بسرعة، فقال: لقد سيطرنا.

يقول أبو اليمان: وصل المجاهدون إلى قمة التل بعد خمس وأربعين دقيقة من بدء المعركة، ولم يكن أحد يتوقع أن تسقط القمة بهذه السهولة، ولكن ما زال ما تحتها تحت سيطرة النظام، وصار أبو خليفة يطلب مني أن أرسل له الإخوة الذين

معي في المجموعة خمسة خمسة، فكنت أطلب منه أن يسمح لي بالدخول فيرفض، ويقول حتى تنتهي من إدخال مجموعتك، وكان كثير التشديد في أمر السمع والطاعة، واستمر القتال إلى الرابعة عصرا حتى سقطت معظم مواقع النظام تحت التل، وبقي مع الجيش كتيبة الإشارة وبعض المواقع لم نتمكن من فتحها، ثم طلبت منه أن يأذن لي بالصعود إلى التل، فصعدت فوجدت وجهه متهللا وقال لي: أحضرنا شفرات حلاقة لينفذ الخال البريدي زعمه، وإلى هذا الوقت كان عدد الشهداء قليلا، ثم سقط صاروخ أرض أرض فقتل ثمانية وعشرين مجاهدا عشرة من الجبهة وثمانية عشر من الجيش الحر، فكان في ذلك صدمة كبيرة أطارت الفرحة من وجه أبي خليفة، ورأيته وهو يدور بين الشهداء ويبكي، ثم أمر أبو خليفة أن ينزل الشباب جميعا ويبقى خمسة في التل كنت أحدهم، فاتخذنا قرارا بتمشيط الكتيبة 174 فمشطناها ولم يكن فيها أحد، ومع أذان المغرب كان التل تحت سيطرة المجاهدين بشكل كامل باستثناء كتيبة الإشارة، وهي تبعد عنه 2 كم.

ويقول أبو النصر: وبعد تحرير التل اشتد كلَب النظام خاصة بعد انسحاب عدد من السرايا المحيطة بالتل، وفك الحصار عن مدينة نوى، وبعد المعركة عاتب مختار أبا خليفة فقال له: عدد الشهداء كبير، فقال: لعلي أكون سببا في دخولهم الجنة، فقال مختار: بحسنة المحاصرين في نوى فتح الله عليك.

يقول الباشق: شارك في معركة تل الجابية، وكان ضمن الإخوة الذين سيدخلون إلى السرية واحد وستين، ونادى عبر القبضة: الله أكبر خرب التل، فلما فتح الله علينا وجدنا هذا الكلام مدونا على أوراق الجيش النصيري، وكانوا قد صنفوا القياديين والرموز ودونوا الكلام الذي قيل عبر القبضة، وكتب الله الفتح على يد أبي خليفة بعد ثلاثة أيام من المعارك.

يقول أبو اليمان: وفي الليل جاء مختار فجمعنا واستشارنا، فقال: ما ترون نكمل المعارك حتى نفتح كتيبة الإشارة أم نترك لهم مجالا لينسحبوا، فقال أبو خليفة: نترك لهم مجالا لينسحبوا ونحقن دماء الإخوة، فأخذ مختار برأيه وبالفعل ترك

الجيش كل شيء وانسحب بدبابتين باتجاه تل جموع وكان طريقهم ترابي.

ويقول أبو اليمن: كانت الغنائم في التل غفيرة جدا، غنمنا دبابات ومدفع 57 ومدفع 130 وبقي مع الجيش مدخل باب اللواء وكتيبة الدبابات 74، وظل فيها إلى اليوم التالي فجاءت مؤازرات بعد أن حشد في أم حوران بين نوى وجاسم، وفي الصباح اقتحم حتى وصل إلى ساتر الشباب، بل كاد أن يصل إلى رأس التل، وجرى اشتباك، وحرك أبو خليفة المجموعات لصد الهجوم، فقتل من عناصر النظام ما يربو على المائة، وجمع أبو اليمان أربعين بندقية كانت ملقاة مع الجثث، ورمى شاب قذيفة بالمدفع فسقطت وسط عربة بي إم بي فولى النظام الأدبار، وأسر منه خمسة عناصر بينهم نقيب نصيري، وأثناء التمشيط ليلا فوجئ الشباب بعنصرين للنظام مختبئين في مستودعات الذخيرة؛ أحدهما من دير الزور والآخر نصيري، فأما الأول فظل يقاوم حتى قتل، وأما الآخر فاستسلم فأخذناه أسيرا، وفي اليوم الثالث انسحب الجيش من أطراف تل الجابية إلى تل جموع وفجر قبل انسحابه مستودعات ذخيرة وسلاح، ودخل الشباب نوى يكبرون في رتل ضخم، وذبحوا عشر شياه في ساحة العمري، وخرج الناس وكأنهم نشروا من قبورهم؛ لشدة الجوع الذي كانوا فيه، وزغردت الناس، وأخذت تنثر الأرز والأزهار على المجاهدين، ولم يكن أحد مصدقا سرعة الفتح ويسره، وكان يوما عظيما من أيام الله.

التل الأحمر الشرقي:

يقول أبو اليمن: وبعد فتح تل الجابية جاء النذير أن العساكر في التل الشرقي ينسحبون، فاستنفر أبو خليفة والدرعاوي المجاهدين، وقالوا: الجيش ينسحب من التل الشرقي إلى تل الحارة، فخرجنا من مدرسة غدير البستان باتجاه الداوية الصغرى، وهي طريق انسحاب الجيش إلى تل الحارة، والوقت ربيع وسنابل القمح خضراء وارتفاعها يقرب من متر ونصف حول التل، وكنا مجموعتين، فكمن بعضنا في الداوية وبعضنا الآخر في سد كودنة، ومر العناصر وهم ينسحبون بالكمائن التي وضعها العسكريون في طريقهم، فكثر القتل فيهم، وقام النظام بالتشويش على القبضات فخرجت عن الخدمة، وصار النداء بيننا نداء دون واسطة، واختلطنا

بالعساكر المنسحبة، فصاروا ينادون مثلنا، فيقولون: يا مختار نحن هنا يا أبا خليفة يا درعاوي، وكان معي قاذف آر بي جي وحشوة واحدة فقط، وليس معي بندقية، فمر مجموعة من العساكر تلمع خوذهم في ضوء القمر، ليس بيني وبينهم سوى مائة وخمسين مترا، فترددت في ضربهم، وقلت في نفسي: إن أطلقت القذيفة ولم أصبهم التفتوا إلي فقتلوني، فلما صاروا قرب المسجد إذ بشابين من المجاهدين، قالوا: من عندك؟ ثم اشتبكوا معهم، فوضعت القاذف وأمسكت عنصرا واستوليت على سلاحه وأسرنا أربعة وتابعنا السير أماما والأرض ممتلئة بجثث العساكر بين القمح شاهدنا أكثر من خمس عشرة جثة، ثم مررنا بجثة عسكري متظاهر بالموت كان قد فتح قنبلة ووضع عليها أحجارا فلما صرنا قربه أزال الأحجار فانفجرت، فاستشهد شاب معنا من إنخل يدعى أبا جليبيب، فأجهزنا عليه وكثر الأسرى معنا، وفيهم جرحى، ونقلهم في غاية الصعوبة لبعد المسافة وضيق الوقت، فإن الصباح إذا طلع سنكون تحت نيران تل الحارة، فأجهزنا على الجرحى، واستمر التمشيط إلى بزوغ الفجر، كنا نقول يا عسكري سلم نفسك نحن نراك ولم نكن نرى شيئا، فيخرج بعض العساكر ويسلمون أنفسهم، وجمعنا الأسرى في سيارة بورتر، وأخذنا نجمع الغنائم من الذخائر والسلاح فوضعناها في الأمام، حتى لم يبق لي مكان، فجلست فوق البنادق، فرمانا الجيش بقذيفة فوزديكا فسقطت أمامنا بمسافة لا تتجاوز المترين وسلم الله فلم نصب منها بأذى، واتجهنا إلى غدير البستان، وثبت الشباب نقاط الرباط، وجاء فصيل من الفصائل، فقال: هذا قطاعي ماذا تفعلون؟ فقال أبو اليمان: يعطيك العافية الجيش انسحب والمعركة انتهت، وبقي في التل الشرقي ما يزيد على مائة عسكري محاصرين، وبعد ثلاثة أيام فتح الخائن أبو شادي العزو - صار شبيحا لاحقا - طريقا لهم فانسحب مائة وثلاثة عشر عسكريا ووصلوا تل الحارة، وجاءنا الخبر ونحن في غدير البستان فانطلقنا مسرعين، وإذا بجيش الإسلام وجماعة بيت المقدس في التل يجمعون الغنائم، فصعد الشباب ليجمعوا هم أيضا، وكان الجيش قبل انسحابه لغم المستودعات والسلاح الثقيل، إلا أن الله منّ على الشباب فتنبهوا إلى ذلك فلم ينفجر من ذلك شيء، وارتاحت المنطقة بسقوط التلين الشرقي والغربي فقد كانا حاكمين المنطقة، وأما الأسرى فقد عرضوا على عامة المسلمين فأخذوا يتعرفون على بعضهم ممن كانوا يعذبونهم ويقتلون منهم،

حتى إن أحد الناس أشار إلى عسكري، وقال: هذا قتل ابني أمامي، وآخر قال: هذا كان يرمي على الفوزديكا، فحقق الشباب معهم فأقروا، فقتل من كان متورطا وكانوا خمسة، ومن بينهم عنصر قيل له: خذ الأمان ودلنا على من كان يقتل وينكل بالمسلمين، فقال: أنا لا أخون رفاقي، فعجل بروحه إلى سقر مع أربعة من رفاقه عتاة المجرمين، ثم خطط المجاهدون للسيطرة على معبر المهدمة وهو معبر مع اليهود وفيه نقطة (un) وفيه مشفى وثكنات عسكرية صغيرة، وكان أبو خليفة وأبو مغيرة مسؤولين ميدانيين عن المعركة، وقد شارك في تلك المعركة جماعة بيت المقدس والجيش الحر وجماعة الفنوصي.

قسمنا أبو خليفة إلى مجموعات في القحطانية، وجعل الأخ أبا أيوب دحج قائدا لمجموعة الجبهة، وكان أبو خليفة بمجموعته يبعد عنا خمسين مترا، فقال: بعد أن يسيطر الشباب على أول تلة سنتقدم باتجاه الطريق الواصل بين المعبر والرواضي، وكان معنا ألغام، وهذا الطريق هو طريق الانسحاب، وقد تأتي منه دبابات.

ثم تأخر العمل ساعتين؛ لأننا أُخبرنا أن اليهود سيدخلون جبهة ثوار سوريا من أرضهم إلى داخل المعبر، فتوقف المجاهدون يقولون: حرام حرام لا نشارك إذا استعان فصيل ما باليهود، فقال أبو خليفة: سواء أدخلت جبهة ثوار سوريا أم لا فنحن سندخل إن شاء الله، ثم استدعوا أحد الشرعيين لسؤاله عن الحكم، فجاء أبو زيد الجزائري، وقال: نحن لن ننسق مع جبهة ثوار سوريا ولا مع اليهود، وبالتالي لا حرج علينا شرعا من العمل، ورتبت الصفوف على هذا، وبدأ المجاهدون الاقتحام في الساعة الحادية أو الثانية عشرة ظهرا، مع تمهيد بالهاون، وكان معنا شاب طويل القامة فقال له أبو خليفة: أنت يا طويل ستدخل الآن؟ ستكون أول من يصاب.
وتمكن الشباب من السيطرة على التلة الأولى وتقدموا، وكنت أسير خلف أبي أيوب ومعنا الألغام وأبو خليفة خلفنا، فرمانا الجيش بثلاث قذائف فوقعت معظم المجموعة بين شهيد وجريح، وكانت إصابتي يسيرة جدا، فنظرت خلفي فإذا بأبي خليفة يبتسم، وقد أصيب الشاب الطويل، وانشغل بإخلاء الجرحى، ودمعت عينا مختار وهو يرى شاب عمره ستة عشر عاما من الكحيل شهيدا، وقال: هذا الشاب

تعلق بسيارتي وأخذ يرجوني، ويقول: يا مختار خذني معك يا مختار خذني معك، فأخذته وها هو الآن شهيدا.

ثم تابعنا التقدم بالألغام حتى وصلنا إلى رجم حجارة وأمامه ثلاثة بيوت، فقال أحد الشباب: الجيش خلف رجم الحجارة، فأخذت رشاش (ب ك س) وخرجت من الزاوية الجنوبية الغربية وأخذت أمشط؛ وإذ بشخص على رأس التل يشير إلي: لا ترم لا ترم، فإذا هو أبو خليفة، ولا أدري كيف وصل إلى هناك؟ فتوقفت عن الرماية واشتبك هو مع الجيش وقتل ثلاثة، فلما وصلت إليه كان يبتسم، فأمسك بي وقال: أسألك بالله العظيم لا تخبر أحدا.

وتقدمنا إلى الدشم فسيطرنا عليها، واستعصت علينا المستشفى، ثم سيطر المجاهدون عليها في اليوم التالي بعد التفافهم عليها، واستشهد معنا أبو ناصر الأردني وكان قد هاجر إلينا ثم عاد إلى الأردن فسجنته المخابرات الأردنية ثم أطلقت سراحه بعد مدة فعاد إلينا مجددا، فكان بعض الشباب يشك فيه أن يكون مخبرا أو عميلا إذ كيف يرجع إلى الأردن؟ فكان يعتذر ويقول: اشتقت إلى زوجتي وأولادي فرجعت والله لست عميلا، فلما كانت هذه المعركة أخذ مني مخزنين واستعار بندقية ثم قتل في الصف الأول منغمسا.

وتقدم الشباب إلى إحدى نقاط (un) وعرض عليهم أبو مصعب أن يستسلموا ولهم الأمان، فرفضوا في البداية، ثم رأوا مختارا وقد تحلق حوله الشباب وكلهم له سامع مطيع، فقالوا: من هذا؟ فقال لهم أحدنا وهو أبو وليد غنو: هذا كان مجاهدا في أفغانستان وهو المسؤول عن ضربة الأبراج عام 2001 في أمريكا، فقذف الله في قلوبهم الرعب فسلموا سلاحهم ونقلناهم إلى مكان آخر.

واستعصت النقطتان المتبقيتان لل (un) وجرى اشتباك معهم جرح خلاله أبو خليفة بفخذه، ودخل رتل لهم من معبر اليهود وفتحوا طريقا للقوات المحاصرة في بريقة فانسحبوا إلى الأراضي المحتلة، وأما النقطة الأخيرة في روحينا فقد رمى الشباب

عليها برشاش 23مم ثم فتحوا لهم طريقا لينسحبوا فانسحبوا بعد أن حرقوا كل شيء في النقطة، حتى أنهم قتلوا كلابهم المدربة.

فك الحصار عن جباثا الخشب:

وتابع الشباب المعركة فتقدموا إلى عين الزبدة، وفتحوا الرواضي في اليوم التالي بالتكبير، فقد انسحب الجيش مباشرة دون قتال، ووصل المجاهدون إلى الحميدية فحرروها كاملة وفكوا الحصار عن جباثا الخشب وكانت محاصرة منذ بداية الثورة، فدخل المجاهدون جباثا وخرج الناس يستقبلونهم فرحين كأعظم الفرح، وكان اليهود يراقبون ما يجري مذهولين، وقد صوروا تلك المعارك كاملة بالأقمار الصناعية.

نزلنا في جباثا في منزل رجل يدعى أبا منهل، وهو من خيرة المجاهدين، وكنا نريد رصد التل الأحمر (وهو غير التلين الشرقي والغربي اللذين حررا سابقا) شرقي جباثا، وفي هذه الأثناء عُزل مختار عن القيادة العسكرية وعين مكانه أبو خليفة، وكنا نريد المتابعة إلى مدينة البعث فقد انسحب منها الجيش وظلت فارغة ليوم كامل، ولكن لم تُغتنم تلك الفرصة، فعاد الجيش إليها وثبت نقاطه، فقال بعض الشباب: نتابع القتال حتى نسيطر على التل الأحمر فنصبح في ظهر الجيش فينسحب من المدينة وتسقط بشكل تلقائي، وقرب التل الأحمر يوجد نقطة (un) فجاءنا خبر أنهم ينسحبون باتجاه الأراضي المحتلة فذهب مختار مع مجموعة ليسيطر على التل قبل أن يصعد إليه النظام، فلما صعد التقى بالجيش هناك، فاشتبك معهم، وقتل أبو منهل وجرح مختار، وتمكن النظام من السيطرة على التل، وجعل العسكريون مقرهم في المركز الثقافي في قصيبة.

معركة سرايا رسم الحلبي:

يقول أبو اليمن: بعد تحرير الحميدية انطلق المجاهدون إلى سرايا رسم الحلبي فحرروها، فهرب من الجيش أربعة وقتل خمسة وستون عنصرا، وكان أمير المعركة أبو المغيرة محجة، وقد بدأت المعركة في التاسعة صباحا وانتهت بعد ساعتين، كما حرروا نبع الصخر ومجدوليا.

بعد انسحاب الجيش من السرية الأولى دخلناها لنمشطها ومعنا أبو خليفة وأبو عبد الله ناحتة، فجاء شاب منا يدعى أبا حسين فجعل يصرخ ويقول لأبي خليفة: ماذا تنتظر لنهجم على السرية الأخرى، فضحك أبو خليفة، وقال: إن شاء الله، ثم أرسل مجموعة من المجاهدين إلى السرية الثانية ولا تبعد عن الأولى سوى مائة متر، فاشتبك المجاهدون مع النظام وبعد ثلث ساعة سقطت الدشمة الأولى، ورمى أبو عبد الله قنبلة فقتل ثلاثة عساكر وتابعنا التقدم باتجاه الجنوب، وبينما أنا أسير إذ بشيلكا لها ثلاث سبطانات وقد حاذيتها، فانتظرت أن يطير رأسي، ثم تقدمت لأجد العسكري الذي كان يرمي عليها أحد القتلى الثلاثة الذين قتلهم أبو عبد الله بقنبلته، وكان لشدة خوفه قد ربط الشيلكا بخيط ليرمي به بعيدا عنها، فاغتنمناها ولم يكن الجيش يتوقع هجومنا على السرايا، فقد وجدنا العساكر باللباس المدني وبعضهم كان بالقميص الشيال، وتوجه العساكر ركضا إلى الدشمة الثانية بعد سقوط الأولى، فاشتبكنا معهم فولوا الأدبار متجهين إلى تل الحارة، وتبعهم المجاهدون يقتلونهم، فسقط من العساكر خارج السرية خمسة عشر عنصرا، وغنم المجاهدون أسلحة نوعية من مضادات وصواريخ، وسقط بسقوط السرايا خط الدفاع الأول عن تل الحارة، وحاول النظام أن يقوم بهجوم مضاد فتقدمت ثلاث دبابات وعربة (بي تي ايز) حتى دخلوا السرية وصاروا في منتصفها، فاشتبك معهم المجاهدون وفيهم أبو أيوب دحج وكونان، فاستشهد عدد من المجاهدين منهم أبو عبد الله الأردني وأبو عمر كحيل ودليل دخل المعركة معنا وهو على العكاز فقد كان بساق واحدة ولا أذكر اسمه، وكانت صواريخ التاو قد وصلت حديثا وهي عند فصائل العمري، وقد شارك رامي التاو بالمعركة ثم غادر بعد التحرير، فانطلق أبو المغيرة محجة بسيارته فأدرك رامي التاو في بريقة فأحضره، فجاء ونصب القاعدة وضرب دبابة فانفجرت، وضرب شاب صغير يدعى أبا حمزة سحيلية عمره ستة عشر عاما دبابة أخرى بالقاذف فطفئ محركها، فأتبعوها بأحد عشر قذيفة أر بي جي من غنائم الجيش ولم تنفجر، فانسحب الجيش، وغنمنا الدبابة التي لم تنفجر فسحبناها، وجاءنا الخبر أن فصيل أبابيل حوران قد سيطروا على سرية خميسة وزبيدة وانتهوا من تمشيطهما في الساعة الثانية عشرة ليلا.

معركة تحرير الشيخ مسكين:

وكانت محاصرة وليس فيها محرر سوى حي أو حيين، وقد ارتكب الجيش فيها جرائم فظيعة من قتل ونهب واغتصاب للنساء، فناشد أهلها المجاهدين عامة وجبهة النصرة خاصة أن يقدموا ليجاهدوا في سبيل الله والمستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فاجتمع العسكريون في قصيبة وكان لأبي خليفة كلمة مسموعة عند فصائل حوران وعتادها، وله شعبية كبيرة، وكان لا يقول: تقدموا، بل يقول: اتبعوني.

فلما اجتمعوا قال أبو جليبيب: أنا أفكر بالشيخ مسكين منذ مدة، وهي عمود حوران، ولكن لننتظر أبا خليفة فهو العسكري العام، فلما جاء أبو خليفة قال: لا مشكلة عندي بفتح هذه المعركة - وكان كثير الاهتمام بفك الحصار عن المحاصرين -.

يقول أبو اليمان: كانت مجموعات محاصرة من الجيش الحر داخل الشيخ مسكين، وقد تمكنت من إدخال 14,5 إليهم، غير أن الشابين اللذين أدخلاه استشهدا، وأثناء الاستعداد لعمل مدينة البعث طُلب مني رصد الشيخ مسكين، ولم يكن معي شيء، فاستعنت ببعض معارفي فحصلت منهم على دراجة نارية وكاميرا وحاسوب محمول، وظللت أرصد لمدة شهر، وهي مدينة على كل حال وأنا خبير بها، وبعد شهر قلت لمختار: ماذا جرى من أجل العمل على مدينة البعث؟ فقال: ألغي، فقلت: رصدت كل شيء في الشيخ مسكين، فجلسنا وأعددنا للعمل، وسحب المجموعات من مدينة البعث، وقال لي أبو خليفة: أريد الدخول معك إلى مدينة البعث - وكنت أدخل من ثغرة في الجنوب -، فقلت: لحيتك طويلة جدا ومظهرك مشكلة، فلبس لباس امرأة ولفح وجهه بالشماج الذي تتلفح بها النساء العجائز، وكان يريد رصد المكان الذي ستكون فيه العمليتان الاستشهاديتان، فرصدنا حتى وصل إلى بناية غسان التي يتمركز فيها الجيش، وأريته كل مكان في المدينة.

قال أبو اليمن: فأرسل شبابا ليرصدوا المكان ليتم تجهيز المفخخات وتحديد المكان الذي ستنسفه، فتقرر أن تضرب المفخخة الأولى عند حاجز الدوار وحاجز الجسر ليخرج

المحاصرون، فلم تكن النية بداية منعقدة على تحرير الشيخ مسكين، وإنما هي ضربة لإخراج المحاصرين، ثم الالتفات إلى تحرير مدينة البعث، فقال أبو خليفة: يدخل الاستشهادي الأول بسيارة خضار بعد أن نوقف له السير، ويدخل الاستشهادي الثاني بسيارة (un) مصفحة ويفجر عند الجسر، وفي الصباح وجدنا الجيش قد تقدم فوضع قوات له على بناية غسان وهي لا تبعد عن الدوار إلا مسافة قليلة جدا، فلم يعد بإمكاننا إدخال مفخخة.

قال أبو اليمان: وأما استشهادية الجسر فقد ألغيت لوجود عجوزان رجل وامرأة لا يبعدان عن الحاجز سوى ثلاثين مترا، واحتمال مقتلهما كبير، وتقرر اقتحام حاجز الجسر اقتحاما مع خطورة ذلك، فقد كان عناصر الجسر مدربين تدريبا خاصا، بدأت المعركة في السادسة صباحا فرمينا بقذيفة دبابة برجا يعتليه قناص للنظام فقتلناه، ولم نتمكن في اليوم الأول والثاني من التقدم، واستشهد معنا مسؤول الاقتحام ومسؤول الغنائم فغيرنا المحور ليكون بناية غسان والتقدم باتجاه الدوار.
قال أبو اليمن: فتقدمنا مع أبي خليفة إلى دشم الجيش حتى لم يبق بيننا وبين الدوار سوى خمسة وعشرين مترا، فقال أبو خليفة: الأمور سهلة نسيطر على البناية ثم ندخل الاستشهادي - وكان الجيش جامعا حشوده -، فرتبنا الأمور على ذلك، انطلقت مجموعات ثلاث فأخذت أماكنها استعدادا للمعركة، وشارك في المعركة عدد من الفصائل، وأدخلنا سلاحا ثقيلا، وسار أبو خليفة في المقدمة باتجاه حاجز الجسر، فرأى عنصرا يمشي على الجسر بلباس مدني، فتناول أبو خليفة بندقية من أحد الشباب ورمى الجندي فقتله وبدأت المعركة، ولم نتمكن من تحرير حاجز الجسر، وأصيب أبو خليفة بشظايا في يده ووجهه، فخرج إلى أبطع وأعاد ترتيب الأمور، وفي اليوم التالي جعل التركيز على يمين الدوار ويساره، فقيل له: هذا صعب، فقال: نحن داخلون لنفتح طريقا للمسلمين المحاصرين، ووزع القطاعات، فأخذ لواء المثنى قطاعا سهلا، فقيل له في ذلك، فقال: هم يريدون الغنائم وسييسر الله لنا، وبدأت المعركة في اليوم الثالث.

وأثناء الرصد ارتكب النظام جرائم جديدة وصلت إلى قتل شباب وأطفال ونساء وحرق جثثهم، فقد كانوا يعدمون بشكل ميداني.

قال أبو اليمان: تقدمنا نحو البناية حتى صرنا نتكلم مع العساكر، وقد جمع الجيش جميع المدنية في البناية في القبو وكان أحدهم يتواصل معي ويعطيني المعلومات. صرنا عند باب البناية والجيش في أعلاها، ولم يكن الدخول من الباب ممكنا؛ لأنه مرصود، لذلك فجرنا جدارا ودخلنا، فأخذ النساء والأطفال يصرخون عندما سمعوا صوت الانفجار، ودخلت فاشتبكت مع عنصر للنظام، ولكن بسبب الغبار الشديد لم أره، ففر ووجدت نفسي في المطبخ، فخرجت حتى هدأ الغبار ثم دخلت مع أبي خليفة ومختار وصعدنا إلى الأعلى، فوجدنا الجيش قد نزل فارّا وترك 14,5، ولكن الجيش لا زال في البناية، ولكن لا ندري أين، ثم سمعنا صوت مروحيات تحلق فوقنا وتقصف بشدة، فقال مختار: الجيش يريد الانسحاب وهذه تغطية له، وبالفعل ما إن هدأ القصف حتى صار العساكر يفرون باتجاه الدوار، ففتحنا النار عليهم فتمكنا من قتل عنصرين وفر الباقون، فنادانى الشخص الذي كان يعطيني المعلومات، وقال: الجيش فرّ، فقلنا للمدنيين: اخرجوا، فخرج خمسة وعشرون شخصا، ثم تقدمنا باتجاه الدوار، وكانت الأوامر من أبي خليفة ألا نمشي في الشوارع ولا نقترب من الشبابيك حتى لا نكون صيدا سهلا للنظام، ويجب أن نتقدم من خلال طلاقيات نفتحها في جدران البيوت، وكان أبو خليفة يفتح الطلاقيات بيده معنا، حتى وصلنا إلى الدوار، ثم أحضر أبو خليفة معه قناصا، وقال: سأصعد إلى السطح ولا تتقدم حتى أرجع إليك، وبما أني في مدينتي وقد ملأت الحماسة صدري فقد عزمت على التقدم وعدم الالتفات إلى كلام أبي خليفة، وكانت نيتي من الدخول أن أرفع همة ومعنويات الجيش الحر المحاصرين، فتقدمت حتى وصلت إلى بيت فيه عناصر للنظام، ومتى دخلته صرت داخل المدينة - وإلى الآن تقدمنا داخل الأزقة ولم نأخذ أي حاجز -، فتسللت إلى بيت المختار في الشيخ مسكين وفيه عريش عنب يطل على الشارع، فوقفت هناك لعلي أرى أحدا من الجيش الحر في الطرف الآخر فأشير إليه لأرفع معنوياتهم، وإذ بي أرى مجموعة مؤلفة من ست عناصر أشكالهم ولباسهم يوحي بأنهم من النظام، ولكن معلوماتي أن هذه المنطقة ليست للنظام إنما للمحاصرين

من الجيش الحر، فصرت أشير إليهم ويشيرون إليّ ولم يعرفوني ولم أعرفهم - ولم أعلم أن النظام قد تقدم واستولى على جزء من المنطقة -، ثم تيقنت أنهم عساكر، فقلت: أرجع وأحضر مؤازرة، فلما استدرت أدركوا أني من المجاهدين، ففتحوا علي النار، وكان علي أن أركض عشرة أمتار لأصل إلى الشباب، فركضت وقبل وصولي بمتر واحد أصبت برجلي وسحبني الشباب، وجاء أبو خليفة، فقال: ألم أنهك عن هذا، فقلت له: لم أعد أطيق صبرا ثم حدثته بما رأيت في الداخل، ونقلت بعدها إلى الطبية، وسيطر المجاهدون على الدوار، ولم يخبر الجيش قواته بذلك، فصارت سياراته تأتي وهي لا تعلم بسقوط الدوار فيقعون قتلى وأسرى، ثم توجه المجاهدون بعضهم إلى حاجز الجسر وبعضهم إلى مساكن الضباط.

قال أبو اليمن: ودخلها أبو خليفة ولا تزال جراحه طرية، وكان على الأوتوستراد في الشيخ مسكين في الجهة الغربية، وتقدم المجاهدون فمشطوا البيوت ووصلوا إلى طريق نوى، وأصيب قائد المجموعة أبو اليمان الشيخ مسكين إصابة قوية في عظم رجله، والتففنا باتجاه الدوار بعد أن سيطر المجاهدون على بناية غسان، وكان الذي اقتحمها القائد مختار في مجموعة من الشباب، وتقدمت مجموعات من المجاهدين فسيطرت على طريق الأبنية الواقعة على طريق نوى والدوار من الجهة الغربية، وتقدمنا من جهتنا فحررنا المخفر، وفجر أبو يعقوب دبابة، وترك الجيش وراءه ثلاث دبابات، ومضى لا يلوي على شيء، فانسحب إلى المساكن العسكرية، وبدأ التمشيط باتجاه حاجز الجسر، وفي اليوم التالي اقتحم المجاهدون حاجز الجسر ففتح الله علينا وتم التمشيط حتى بناية الساجر في قطاع المثنى، وانسحب الجيش من تل حمد فلم يقتل منه أحد هناك، وانسحب ثلاثة آلاف عسكري من عدد من القطعات العسكرية بعد تحرير الشيخ مسكين مثل الكتيبة الطبية والأمن العسكري وبناية نجيب بطحة وقيادة 112 وتل الهش الشمالي والجنوبي وتل حرفوش وتل أم حوران وسبع كتائب مدفعية، وكان الانسحاب بشكل كيفي بالعتاد الخفيف باتجاه السحيلية والدلي والإسكان العسكري شمال الشيخ مسكين، وخلفوا وراءهم عتادا ضخما جدا من مختلف أنواع الأسلحة والذخائر والمحروقات، وأعدم الجيش عددا من الضباط في أزرع لأنهم انسحبوا، وتم فتح الطريق وكانت معركة ضروسا (كسر عظم) قتل فيها

من جنود النظام ألف جندي، واستشهد من جنود جبهة النصرة فقط أربعة وستون مجاهدا هم من خيار المجاهدين.

ثم قال أبو خليفة: سنرصد مدينة البعث، ولعل الله يفتح علينا هناك ثم نكمل تحرير ما بقي هنا من القرى والقطعات العسكرية شمال الشيخ مسكين، إلا أن الجيش كان قد حشد حشودا ضخمة وعاد ليسترد ما حرره المجاهدون، ففرضت علينا معركة الشيخ مسكين فرضا، وكنا نريد أخذ المساكن العسكرية وهي اثنتان وعشرون بناية محصنة كأشد ما يكون التحصين، وقد هجم المجاهدون مرتين ولم يفتح لهم، فاجتمع أبو خليفة ومختار وقرروا إدخال استشهاديين إلى مساكن الضباط وهما أبو آدم محجة وخطاب سلفر، وكانت الخطة أن يدخل الاستشهادي الأول فيفجر ويتلوه آخر، ثم يدخل الانغماسيون، وفي اليوم التالي أحضرت سيارة مصفحة ووضعتها في داعل، وأرسلني إلى أنخل لأحضر صاروخا فراغيا لم ينفجر، فأحضرته أيضا إلى داعل، وجاء الاستشهاديان فصار كل واحد منهما يقول للآخر: أسألك بالله دع الصاروخ الفراغي لي، وأخيرا وضع في سيارة سلفر، ثم ذهبنا إلى العمليات وقد جهز الشباب مفخخة أبي آدم، فأريناه الطريق الذي يجب أن يسلكه، وأغلقنا الشوارع التي يجب ألا يدخل فيها بالأحجار حتى لا يخطئ، وقبل دخوله بربع ساعة جاءت ثلاث أو أربع حافلات مليئة بالرافضة، فنزلوا هناك، فقلت لأبي آدم انبسط (يعني افرح) فضحك، ثم أعطيته قبضة فرناها، وقال: بإذن الله سأزفهم إلى جهنم زفا وسأتقدم إلى أقرب نقطة منهم، ثم دخل بعربته فتجاوز المكان المفروض أن يفجر فيه إلى عمق المساكن، قطع عشر بنايات ثم فجر عربته، وتلاه سلفر فدخل بمفخخته فتقدم إلى البنايات التي لم يصلها أبو آدم مستغلا اضطراب الجيش وارتباكه ثم ركنها جانبا وفجرها عن بعد وعاد إلى إخوانه سالما، ثم دخلت مجموعات الاقتحام يقدمهم أبو خليفة، وطلب أبو عبد الله ناحتة مدفع نون 29 للتعامل مع الدبابات التي كانت تنسحب، وصارت الحارة الشرقية خلفنا وهي متخمة بقوات النظام، وأخذنا نمشط، فدخلت مجموعة فرأت أن مفخخة أبي آدم قد جعلت من أربع بنايات ركاما والعساكر تحت الردم وبعضهم لا يزال فيه رمق من حياة، وقال لي أبو خليفة: اتبعني، وأخذ مجموعة من المجاهدين ودليلا ومضى ليدخل إلى الحارة الشرقية

لنقاتل الجيش وجها لوجه، فناديت عبر القبضة: أدخلوا الاستشهادي الثالث والرابع (ولم يكن هناك لا ثالث ولا رابع وإنما المراد إرهاب أعداء الله) فألقى الله الرعب في قلوب الجيش ففر هاربا، فدخلنا ومعنا أبناء البلد لنرى الجثث بالعشرات، وغنمنا في الحارة الشرقية دبابتين ومثلهم في المساكن وثلاثة على دوار الشيخ مسكين، وتحررت المساكن العسكرية والحارة الشرقية، وخر أبو خليفة لله ساجدا شكرا على ما فتح الله علينا، وهذه عادته دائما، وكان قبل كل معركة يقوم في المقر يتوضأ ويصلي متهجدا، وكان رجلا بكاء كثير البكاء لحال المسلمين، مع تواضع شديد في تعامله مع جميع الفصائل.

وقد لقيت سلفر فحدثني عن العمليتين الاستشهاديتين بمثل حديث أبي اليمن، غير أنه أضاف: أنه بعد تقدم النظام استشارهم أبو خليفة، فقال له سلفر: أعطني مسدسا فأقتل العنصرين اللذين على الحاجز المتقدم ثم أتابع أنفذ العملية في مكانها المقرر، فقال له: أستخير، وبعد الاستخارة رفض ذلك، وقال الدوار والجسر نأخذهم بالاقتحام إن شاء الله.

وأضاف أيضا: أن أبا خليفة قال له: إذا استطعت أن تركن سيارتك فاركنها، ولك عندي سيارة محملة بخمسين طن من المتفجرات تدخل بها إلى مدينة البعث، قال: فلما ركنت السيارة تكلمت عبر القبضة، فكان أبو خليفة أول من رد علي، فأخبرته أن الإخوة نسوا أن يعطوني جهاز التفجير، فأخذ يصيح على القبضة: يا إخوة من معه جهاز التفجير يفجر، حتى سمع الشباب النداء ففجروا السيارة، وبعد يومين أخذني وعشاني فروجا.

يقول أبو النصر: عندما دخل أبو آدم بعربته كان أبو خليفة على سطح أحد المساجد يراقب مع شدة القصف.

ويقول يحيى عياش: بعد تنفيذ التفجيرين بكى أبو خليفة - وكان يحب أبا آدم حبا شديدا - وقال عبر القبضة: كلنا استشهاديون بإذن الله حتى يحكم شرع الله.

يقول أبو اليمن: ثم قال لي أحد رجال الجيش الحر: جاءنا أمر من الموك بسحب جميع السلاح الثقيل من الشيخ مسكين، وبالفعل ومع الفجر خلت الشيخ مسكين من السلاح الثقيل وانسحب عدد من الفصائل، وقيل: النظام صار خلفكم، فذهبت إلى مرابض الهاون فلم أجد لها أثرا، سوى مدفع هاون واحد وهو تصنيع محلي، فصرنا نرمي عليه، فقتلنا ضابطا برتبة ملازم، وتقدم الجيش فاشتبكنا معه، وجاء أبو يعقوب نون فرمى شيلكا للنظام وتراجع إلى الوراء قليلا، والتف الجيش علينا وهو يلبس لباس جبهة النصرة (لباسا أفغانيا وعصابة) فحوصرت، فجاء أبو خليفة بمجموعة واشتبك مع الجيش وقتل ثلاثة عناصر وبقي عسكر رمى بارودته وأخذ ينظر إلى جثث رفاقه، فرماه أبو أنور فقتله، وأخذ المجاهدون قبضة لاسلكية من القتلى فعرفوا أن جموعا إيرانية ضخمة قد قدمت، فقد كان الكلام في القبضة كله باللغة الفارسية، فأخذ أبو خليفة يستنهض الهمم ويستحث عزائم الناس، ويقول: اتقوا الله في أعراض المسلمين، وسحبنا الجثث فوجدنا معهم كتابا، ففتحنا أول صفحة فإذا فيها: دعاء الاختفاء عن الأعداء، وكان من ضمن القتلى محمد علي طالب الزين أبو الزين وهو من رؤوس الإجرام، فأخذنا هاتفه الجوال فوجدنا فيه تواصلا مباشرا مع مكتب حسن نصر الله، وبعد هذه المعركة ذهب أبو خليفة بدراجة نارية يدفعها دفعا حتى دار محركها.

ثم انتقل إلى جند الملاحم، وشاركت جند الملاحم بتحرير الشيخ مسكين والإسكان، وبعد خروج أبي خليفة من الجبهة وانتقاله إلى جند الملاحم رأى خطاب سلفر في منامه النبي عليه الصلاة والسلام وقد لبس درع الحرب ومعه سيف وقد اعتم بعمامة سوداء وخلفه القادة العسكريون الذين لم يذهبوا إلى جند الملاحم، فقال لسلفر: اؤمر أبا خليفة أن يعود إلى جبهة النصرة طاعة لله وطاعة لرسوله وتقوية لصف المجاهدين في الشام، وأخبره أني أحبه في الله واؤمر أبا عبد الله ناحتة أن يعود، وذكر عددا من القادة العسكريين الذين شكلوا جند الملاحم، كما ذكر شبابا قعدوا عن الجهاد ليعودوا، وكان هناك رسائل أخرى رفض سلفر أن يفصح عنها، فبكى أبو خليفة لما بلغه الخبر، وقال: بإذن الله بعد هذه المعركة سأعود إلى الجبهة، ووضع الخطة لمعركة تل أحمر، وكانت تتضمن أن يدخل سبعة انغماسيين

من الجهة الشمالية الغربية بعد نشر الثقيل ليلا، ورتب الأمور بشكل كامل، وبدأت المعركة في التاسعة صباحا، فدخل الانغماسيون، ثم جاءت مجموعات فاشتبكت مع الجيش وجها لوجه، وكان النظام قد وضع ألغاما فانفجر أحدها ليستشهد أبو خليفة رحمه الله.

وقد لقيت سلفر بعد فقلت له: حدثني بخبر رؤياك تفصيلا، فقال إن شاء الله، ثم أقبل يسوق الرؤيا، فقال: قبل مقتل أبي خليفة بشهر شاء الله أن أرى النبي عليه الصلاة والسلام بصفاته التي ذكرها أهل العلم، كما أنه عليه الصلاة والسلام أكد لي في المنام، فقال: أنا رسول الله.

قال: وكنت أتكلم في نومي والشباب حولي يسمعون ما أقول، رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام وأنا واقف إلى جانبه، وأمامنا كل القادة العسكريين للجبهة من كبيرهم إلى صغيرهم من قتل منهم ومن لا يزال حيا جميعهم بلا استثناء، حتى مسؤول الإدارة، ولم يكن يوجد من الأمراء الكبار إلا ستة ومن الأمنيين إلا ستة، وهؤلاء وجوههم مغبشة فلم أعرف من هم، وأما الشرعيون فلم يوجد منهم أحد.

فنظر الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يوجد العسكريون الذين ذهبوا وشكلوا جند الملاحم، نظر إلى أبي خباب درعاوي، وقال: قل له: اتق الله وليوحد الصف، ونظر إلى أبي عمر معاني، وقال الكلام نفسه، ونظر إلى لبيب أبي خالد الإداري، وقال الكلام نفسه، ونظر إلى أبي خليفة وقال الكلام نفسه، وزاد وأخبره أني أحبه.

فلما استيقظت ذكرت ذلك للشباب ولأبي خليفة، فطلب مني أن لا أذكر ما قال النبي عليه الصلاة والسلام فيه إلا بعد استشهاده وبكى بكاء شديدا، وقال: الآن أعطيت الأحرار كلمة، ولكن بعد أن أنتهي من معركة التل الأحمر وتل un سوف أرجع، ولكن تذهب أنت معي إلى أبي جليبيب، ثم استشهد في أثناء المعركة. ويقول أبو محمد ياسر: دخل أبو خليفة إلى حرش عين ذكر ففك ألغاما فيه، وأحضرها لنا، ومع أن هذه المنطقة منطقتنا إلا أننا لم نجرؤ على دخولها.

معركة تحرير بصرى:

في معركة بصرى الشام رصد أبو خليفة ومحارب، ثم فتح المجاهدون ثغرة دخلوا منها وفتح الله عليهم، واستعصت عليهم قلعة بصرى؛ إذ تحصن الشيعة فيها، فقطعوا القلعة، وتابعوا التقدم باتجاه الشرق، وبعد إتمام السيطرة على بصرى أعطوا الأمان للمحاصرين في القلعة وأخرجوهم.

تعيينه عسكريا عاما لجبهة النصرة في الجنوب:

قبيل معركة الشيخ مسكين عُزل مختار وعين أبو خليفة أميرا عسكريا عاما، فخاض معركة الشيخ مسكين وكان مسؤولا عنها.

انشقاقه وتشكيل جند الملاحم:

يقول الباشق: كان مختار يقول: بعض الإخوة يجب ألا يكونوا قريبين من موقع اتخاذ القرار؛ لأنهم لا يمكن أن يستوعبوا ما يجري، وكان حريصا على إبعاد أبي خليفة عن ذلك، ونصح بذلك أبا جليبيب، وقال له: إذا فعلت فستخسره، وبعد مشكلة مقتل أبي سيف الأحمر صُدم أبو خليفة جدا، فانشق من الجبهة في عدد من إخوانه من الفريق الذي كان يعتمد عليه مختار في إدارة المعارك وقيادتها، فحاول مختار أن يعيدهم، وقال: أنتم شوكة العسكرة، فأخفق، فحزن لذلك حزنا عظيما، وكان انشقاقه بعد فتح تل الجابية وبداية معارك الدواعش، وحاول أبو جليبيب زيارته مرتين فرفض استقباله؛ لأنه اطلع على أشياء صدمته.

ويقول أبو سعيد: سألت أبا خليفة عن تركه جبهة النصرة، فذكر أسبابا منها مقتل أبي سيف الأحمر، ومعركة بصرى، وتحويل معركة مدينة البعث، لكن السبب الرئيسي كان قتال الخال (الدواعش)، وقال لي: إذا لم أتبين بشكل صحيح من عقيدتهم فإني لا أقاتلهم.

قلت: فتنة الخوارج من أعظم الفتن التي ألمت بالجهاد الشامي إن لم تكن أعظمها على الإطلاق، وقد مكث عدد كبير من خيار المجاهدين ردحا من الزمن يتورع عن

قتالهم ويخشى الولوغ في الدم الحرام، في حين أن كلمة أهل العلم كانت واحدة أن هؤلاء القوم خوارج ويجب قتالهم، ولكن لم يكن من السهل على كثير من المقاتلين التوجه إلى قتالهم، وفيه نوع من اللبس بعد أن كان القتال موجها إلى نظام مجمع على كفره وبغيه وعدوانه، وهذا التورع سبب مجازر عظيمة في صفوف المجاهدين، ففي الوقت الذي كان يقول فيه البعض في الدواعش: هؤلاء إخواننا والخلاف بيننا كخلاف البيت الواحد، كان الخوارج لا ينفكون عن تعليم عناصرهم أن عامة الفصائل المجاهدة في الشام واقعة في الردة وأن قتالهم أولى وأوجب من قتال النصيريين، ويعملون سيوفهم في رقاب المجاهدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والمقام لا يتسع لبسط المسألة، غير أننا نقول: إن الخطأ وارد من كل إنسان، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، وإن أبا خليفة كان مخطئا في موقفه هذا، غير أن محاسنه وتضحيته وإقدامه وشجاعته تغمر هذا الموقف في لججها، ثم إنه استبان فساد منهجهم واقتنع بوجوب قتالهم وقاتلهم بعد ذلك.

يقول أبو اليمان: كنا في جبهة النصرة نشاهد إصدارات تنظيم الدولة في العراق نعرضها في مقراتنا، ومن كان يقول عن تنظيم الدولة داعش كنا نعزره، ثم إن مختارا صار يعرض لنا ما يفعله الخوارج بإخواننا في دير الزور، ويقول: يا شباب الناس متعطشون إلى الخلافة وهؤلاء يكرّهون الناس بالخلافة، وأنتم يجب أن تنشروا الوعي بين الناس، فهؤلاء خوارج، وقد رفض معظم المجاهدين القتال في بداية الأمر.

يقول أبو صلاح اللوجستي: كانت الفتوحات في أوجها عندما ظهر الخوارج وبدأت جرائمهم، وكان عدد الجبهة وقتها أكثر من أربعة آلاف مقاتل، ومعظمهم كان يرفض قتال الخوارج، فقال أبو جليبيب: من لا يريد أن يقاتل الخوارج فليضع سلاحه ويمش، فترك الجبهة وقتها أكثر من النصف، حتى لم يبق في صفوفها سوى ألف وخمسمائة مجاهد فقط.

معركة اللواء اثنين وخمسين:

وهذ اللواء من أكبر الألوية في سورية، وهو لواء مدرعات، وفيه أكثر من ألف ومائتي آلية، ويتوزع لكبر مساحته بين ثلاث مدن، وكان أبو خليفة حينها مع جند الملاحم، وكانت القيادة للجند، فهم اشترطوا ذلك، وقد شاركت في المعركة جميع الفصائل باستثناء جبهة النصرة؛ لانشغالها بقتال الخوارج، وقد شارك في الرصد القائد مختار وأبو خليفة ودرعاوي، وتسلل المجاهدون بين الصخور.

وقد كانت غنائم هذا اللواء تفوق الحصر، حتى إن من لا علاقة له بالجهاد كان يدخل فيملأ سيارته من الغنائم ويخرج، وحتى إن جماعة من البدو دخلوا بسيارة قاطرة فملؤها بالألغام، ولما هموا بالخروج شاهدوا مستودعا فيه صواريخ، فنزلوا وأفرغوا الألغام وملؤوا السيارة بالصواريخ، ولما سارت بهم السيارة قليلا دعست على لغم فانفجرت بهم انفجارا ضخما.

يقول أبو ثابت: رأيت امرأة عجوزا دخلت إلى اللواء، فحملت صاروخا مضادا للدروع بين ذراعيها وخرجت، فقلت لها: إلى أين يا حاجة؟ فقالت: يلعن شيبات أماتكم (شتيمة حورانية أصلية) بيتي قصف وتهدم وأريد إصلاحه.

جراحه:

يقول الباشق: كان في الرصد دقيقا جدا من خيرة الرصاد، ولا يرضى إلا بالوصول إلى دشمة الجيش، كان مرة يرصد في سرايا الناصرية فأبصره النظام فرماه برشاش (ب ك س) فأصيب في بطنه ولازم الفراش على إثر ذلك شهرين وتسلمت القنيطرة بدلا عنه، كما أصيب بطلقة في يده أثناء معركة (un).

تعيينه عسكريا عاما في أحرار الشام:

يقول الباشق: بعد انفراط عقد جند الملاحم انضم أبو خليفة إلى أحرار الشام وعين أميرا عسكريا، وقبيل استشهاده كان هناك عمل لتحرير التل الأحمر في القنيطرة، وقبل العمل عقد مجلس صلح، فتصالح مع أبي جليبيب، فدعاني أبو خليفة وقال

لي: انصحني نصيحة لا أسأل أحدا غيرك بعدها، فقلت له: الفرقة عذاب، وجعلت أؤنبه، فقال لي: لا تؤنبني وأعطني نصيحة، فقلت له: اجمع الشباب وعد كما كنت وأفضل، فقال لي: هذه المعركة سأنسق مع النصرة وبعدها سأعود إن شاء الله، فلا أريد أن أترك الأحرار الآن كي لا يحزنوا، ولكن بعد المعركة سأعود وأرتب الأمور كما كانت سابقا وأفضل.

أخلاقه:

يقول الباشق: كانت عنده سلامة صدر قل أن تجد لها مثيلا، وكان ذا شخصية قيادية ملهمة، سلمني مختار قيادة محور في إحدى المعارك وجعله مساعدي، فأبلى بلاء حسنا في حث الإخوة على الصبر والثبات، وكان يشاور إخوانه.

كان صاحب جود وكرم ومحبة لإخوانه، يسمع النصح ويقبله ولا يأخذ بالتهمة والظنة.

ويقول أنس الدرعاوي: أذكر القائد أبا خليفة رحمه بعد انتقاله من جند الملاحم إلى الأحرار كان رحمه الله حريصا على تنظيم طاقمه العسكري، ودائما ما يوجههم للإشراف على ترتيب صفوف المجموعات والإسناد.

وكان يمضي جل أوقاته في الرصد والتجهيز للمعارك، وكان محبوبا لدى جميع الفصائل في درعا، وقاد عدة معارك أذكر منها الشيخ مسكين وبصرى الشام والتل الأحمر في جباثا وسرية طرنجة والسودي وأبو حارتين وعين ذكر وسحم الجولان ونافعة...، كان يعامل جنوده كما يعامل أبناءه ويمازحهم.

كم تفتقد ساحة الشام أمثال القائد أبي خليفة، فقد كان مثالا في البذل والتضحية بالمال والنفس، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته...

يقول أبو سعيد: بعد تشكيل جند الملاحم ذهبت إلى أبي خليفة في بصرى، فجلست في مضافته ثلاثة أيام، وكان كرمه قل أن تجد له نظيرا، وكان عطوفا يسمع النصيحة من إخوانه ولا يدير ظهره لأحد منهم، يتحقق ولا يقبل أن ترمى التهم جزافا، قيل له مرة: فلان عميل، فطلب من شابين مراقبته حتى يتحقق من الأمر، وكان محبوبا من الشباب، حتى إن الإخوة الذين كانوا يتركون الجهاد أو الجبهة لا ينقطعون عن زيارته والاتصال به.

ويقول أبو بلال: كان صاحب خلق عال وأدب، هادئا قل أن يغضب، يحب أن يسمع من العسكريين قبل أن يتخذ قرارا، ويعطي المتكلم حريته بالكلام، كان قدومه إلى أرض المعركة يرفع المعنويات، لا يتأخر عن تلبية نداء مؤازرة، ويتقدم الجنود في المعركة، جئته مرة بعد سقوط الحارة الشرقية من الشيخ مسكين وكانت المعنويات منخفضة، فطلب ثلاث مجموعات، فدخل هو من محور ودخلت من آخر ودخل الجيش الحر من المحور الثالث، واستردنا ما استولى عليه الجيش كاملا، وثبتنا الرباط، ثم قال لي: حافظ على المكان حتى آتي بمؤازرات، وفي الصباح تقدم الجيش من مقر قيادة اللواء، فأخبرته، فأخذ مجموعة من الشباب والتف على الجيش التفافا وأوقع بهم مقتلة، فأخذ العساكر يولون الأدبار لا يلوون على شيء، وبعد ذلك بمدة تمكنا من السيطرة على مقر قيادة اللواء.

ويقول: كان صاحب تواضع بريئا من الكبر طيب الأخلاق لا يقر خطأ، كان كثير من شباب الجبهة عندهم تعالٍ، وحدث أن طلب القبض على ضابط من الجيش الحر اسمه أحمد النعمة اتهم بتسليم خربة غزالة بقطع الذخيرة عنها، فنصب له الشباب حاجزا وألقوا القبض عليه ومعه أربعة ضباط، فكانت معاملة شباب الجبهة معهم معاملة سيئة جدا، فجاء أبو خليفة، وقال: هؤلاء إخواننا ويجب ألا نسيء إليهم وألا نكون عونا للشيطان عليهم، وهم عندنا أمانة حتى يحكم فيهم القضاء الشرعي، ثم دخل إليهم وكلمهم برفق، وقال: أنتم إخواننا وقد أخطأتم، وهذه البلد بلدنا جميعا وطريقنا واحد ودمنا واحد، ثم منع الشباب من التدخل بهم أو الإساءة إليهم.

ويقول: كان الأسد على العدو ويرفض اللجوء إلى القتال في حل المشاكل الداخلية، فقد اعتقل أحمد العودة عمه فرفض افتعال معركة مع قدرته على ذلك وسهولة ذلك عليه، كان ضد القتال الداخلي.

ويقول أبو سعيد: كان أبو خليفة مهتما بأمر إخوانه وبتثبيتهم، مكثت عنده عندما أصبت ثلاثة أيام، فكان يبث الثقة في نفسي ويحضني على متابعة الطريق، وكان لا يبخل عن الإخوة بالدعم النفسي والمعنوي.

كان مختار هادئا بعيدا عن الصراخ والصخب في قيادته وتسييره أمور المعارك، كان يتحلى بثبات الأعصاب في أشد الظروف صعوبة.

يقول أبو اليمن: الهدوء من أهم ما يتميز به أبو خليفة، تراه في أحلك الظروف هادئا ثابتا يبتسم، وقد يكون القتلى والجرحى يملؤون الميدان، لم أره في معركة خارجا عن طوره يصرخ.

ويقول أبو مازن: كنت أراه في معارك القنيطرة وهو لا يهدأ، دائما تجده في عمل دؤوب متواصل، وكان مهابا إذا تكلم كلمة لاقت آذانا صاغية، وقد طلبت غرفة الموك مرارا التواصل معه فرفض رفضا قاطعا، وذات مرة أُتي له بالهاتف والخط مفتوح، فأغلقه وأبى أن يكلمهم.
يقول أبو جعفر: رجل مهذب غيور عسكري يخطط ويقتحم مع الشباب ويأبى أن يبقى في الخلف.

ويقول: كان صاحب إخلاص - نحسبه والله حسيبه - تسبق نيته شجاعته، وأحسب أن الله كان ينصره بإخلاصه، لم يكن يفكر في المغانم، كان تفكيره منصبا على فك الحصار عن قرى المسلمين المحاصرة، لم يفكر يوما في دبابة أو قاتل على شيلكا، زرع الله محبته في القلوب وصارت له شعبية كبيرة وكلمة مسموعة حتى من قادة الفصائل، حتى إنه كان بعلاقته الجيدة يحرك عتاد وعناصر الفصائل المجاهدة.

وكان يولي المجاهدين والمرابطين عنايته، ويغضب إذا وجد تقصيرا في حقهم، فخدمة المجاهدين وتلبية حاجاتهم من أهم الأمور عنده، ولا ينبغي عنده التشاغل عنها بأمور أخرى.

يقول أحد إخوانه: بعد فتح الحميدية رأى أبو خليفة المجاهدين في المقرات بدون أغطية - وكان المسؤول عن ذلك شاب يدعى الطير -، فغضب وأخذ يصرخ في وجهه، ويقول: اتق الله، دع كل شيء في يدك وأحضر للشباب طعاما وأغطية، وكان لا يغضب إلا لأمثال هذه الأمور.

يقول أبو جعفر: كان صاحب هيبة، وإخوته لا يخالفونه، لذلك كانوا في حياته مع الجبهة، فلما استشهد عادوا إلى الجيش الحر، ثم انتهى بهم الحال أن صاروا في الفيلق الخامس التابع لروسيا بقيادة الخائن أحمد العودة.

ويقول أبو خطاب سلفر: كان معروفا بحيائه، بكّاء إذا قيل له اتق الله، كان دائما يفكر بالأسرى.

ويقول أبو اليمان الشيخ مسكين: عاشرته منذ عام 2012، وكان أول لقاء لي معه أثناء رباطه على الرافضة في بصرى الشام، فكان مما يميزه شدة ورعه في الدماء، فكان شديد الاهتمام بالتدشيم والتحصين، يحصن المكان من جميع جهاته حتى لا يقتل أو يجرح مجاهد نتيجة تقصير أو إهمال، وكان يمنع الشباب الذين أعمارهم خمسة أو ستة عشر عاما من الدخول إلى المعارك، ويقول: هؤلاء شديدي الحماسة، وقد تدفعهم حماستهم إلى الدخول في أماكن دون حساب العواقب فيستشهدوا أو يؤسروا.

وكان يعطي الشباب دروسا فتتقاطر دموعه وتبلل لحيته، لا يتحزب لفصيل أبدا، بل هو أبعد من رأيت عن التعصب للفصيل، وشخصه محبوب جدا، وهذا ما جعل عددا من الشباب ينتقل من الأحرار إلى الجبهة وكنت أحدهم، والتحقت بالمكتب

العسكري حيث يعمل أبو خليفة، ثم عزل القائد مختار وعين أبو خليفة مكانه، وإني أزعم أن أداءه العسكري وصل إلى مرحلة توازي أداء مختار.

ومن أمثلة نبذه للفصائلية أن مناحرة جرت بين جبهة النصرة والجيش الحر بعد تحرير تل الجابية، فقررت غرفة الموك أن الجيش الحر يحرر تل جموع دون أن يشرك جبهة النصرة في ذلك، وتل جموع أكبر من تل الجابية وأمامه مكشوف تماما لا يوجد أشجار يمكن أن يستتر بها المجاهدون، واستخدم الجيش الحر طائرات الفانتوم في الاستطلاع وكنا لا نعرف عنها شيئا.

وكان قائد المعركة ضابط أردني منشق يدعى أبا تحرير، وهو صاحب خبرة عسكرية جيدة، وبدأت المعركة بتمهيد كثيف جدا، وقد خصص لكل دشمة صاروخ تاو، واشترك في المعركة أكثر من ثلاثين مضاد عيار 23مم واستمر ذلك لمدة أسبوع لم يتقدم الجيش الحر فيها شبرا، وكثرت حالات البتر في صفوفه لوقوعهم في حقول ألغام وانخفضت المعنويات، ثم جاء أبو تحرير وجلس مع العسكريين، وقال لهم: ألستم جبهة النصرة لأهل الشام؟! فها نحن نستنصركم على تل جموع، فاتصل أبو خليفة مباشرة بأبي جليبيب وكان أمير النصرة وقال له: الجيش الحر يطلب منا مؤازرة، فقال له: ممنوع، فقال أبو تحرير لأبي خليفة: تعال أنت فقط، فاستأذن أبا جليبيب فمنعه، فأخذ يناقش أبا جليبيب ويصر عليه أن يأذن له وأبو جليبيب يرفض، حتى احتد النقاش ولم يحصل أبو خليفة على الإذن، فأخذ يبكي، ثم دل أبا تحرير على بعض الثغرات في تل جموع وزوده ببعض النصائح، ومضى أبو تحرير وعزم الجيش الحر على فتح التل واستمر القصف حتى سقط تل جموع بأيدي الجيش الحر بعد ثمانية وعشرين يوما.

وكان أبو خليفة يدعم الفصائل جميعا، ويقول: نحن مشروع أمة لا نخبة، وكان يهتم بالمجاهدين وسد حاجاتهم جدا، فقد كنا في المكتب العسكري أربعة عشر شخصا، فجمعنا وأعطى كل واحد منا مائة دولار، فقلت له: من أين؟ فقال: جاءنا دعم وأنتم أولى الناس بهذا، وأنا واثق أنه لم يترك لنفسه شيئا على شدة فقره، وكان يعطي

العسكريين كل ما يمكن أن يساعدهم في عملهم من مسدسات ونواظير حرارية وغير ذلك، ومما يذكر هنا أنه بعد تحرير تل الجابية وجد المجاهدون في اللواء 61 وهو أكبر لواء في التل خزنتي مال، فحاولوا فتح الخزنة الأولى حتى فتحت بعد جهد شديد، فوجدوها فارغة، فرموا الخزنة الثانية وظنوها فارغة كالأولى، ثم إن عنصرين من الجبهة وجداها ووجدوا داخلها ثمانمائة ألف وخمسا وأربعين ألف ليرة سورية، وهذا المبلغ يساوي آنذاك ثلاثة آلاف دولار تقريبا، فأخبراني بذلك فعجبت من أمانتهما، وقلت: لماذا لم تأخذا منها شيئا؟ فقالا: لا نريد ذلك، ثم قال الأول منهما: أريد الانتقال إلى العسكريين، وقال الآخر: أريد تبديل سلاحي، فأخذت المال وانطلقت به إلى مختار وأبي خليفة، ورميت المال في حجره، وقلت: رزق ساقه الله إليكم، وذكرت القصة فقال: هل يعرف أحد بالأمر غيرهما؟ فقلت: لا، فدعاهما ولبى طلب كل واحد منهما ثم صرف لكل واحد من العسكريين خمسة وعشرين ألفا، وادخر الباقي، فعلم أبو جليبيب بذلك فغضب، وأحضر الدكتور العريدي وطلب منه عقد جلسة شرعية، ولكن مر الأمر على خير.

عبادته:

يقول يحيى عياش: كان صاحب عبادة، محافظا على قيام الليل.

يقول الباشق: لم يكن يترك صلاة الضحى.

وكان رقيق القلب إذا ذُكر بالله ذكر فدمعت عينه واستحضر جلال الله وذكر الموقف بين يديه.

يقول يحيى عياش: كان العسكريون في قرية غدير البستان في مقر لهم، فقال أبو خليفة: ذكرونا بالله، فأخذ كل أخ يتكلم بما يفتح الله عليه حتى وصل الدور إلى شاب طيب القلب لا يجيد الكلام، فقال: يا إخوة اتقوا الله، فأخذ أبو خليفة يبكي بكاء شديدا.

شهادة الشيخ الزبير الغزي:

يقول: نعم الرجل أبو خليفة، شهدتُه في فتح مدينة الشيخ مسكين، كانت المعركة يومها غير متكافئة، ومع الاتساع في الفتح نحو جباثا الخشب كان لا بُد من الذهاب نحو الشيخ مسكين؛ لأنها تمثل خاصرةً مهمة في غرب الجنوب السوري، وتفتح طريق نوى، ولكن العدد كان قليلًا والإمكانيات محدودة، والجبهات متناثرة؛ فأرسلَ الشيخ مختار أبا خليفة ليبدأ بترتيب العمل والرصد على الشيخ مسكين، وحيثُ كنت في نوى بقربهم، فقد ذهب بعض إخواننا للرصد معهم، وما إن بدأ أبو خليفة بالرصد حتى رآه عسكريٌّ وهو يرصد من النقطة صفر أمام العدو؛ فبدأت المعركة، هكذا بدون مقدمات ولا حسابات، واستُنفر الجنود، ولحقتُ بهم بعد عدة ساعاتٍ وإذ بالشيخ مسكين قد تحرر أكثر من ثلثها - وهي مدينة متوسطة الحجم -، وهناك رأيتُ أبا خليفة فأخبرني بأقدار الله التي جرتْ في المعركة، وكيف أنَّ الله فتح عليهم بغير تقديرٍ منهم.

ولما دخلنا والأجواء في الشيخ مسكين مشتعلة، كانت تُبهرني بشدة عدم مبالاة الرجل بالعدو؛ فأُمُر عليه وهو يذبح بعض الطيور التي غنمها من ثكنات العدو ويشويها للإخوة، والطيران يُحلق فوق رأسه، وهو لا يُبالي بذلك، وكل من جاء أطعمه ودعاه، ويقود العمل من الميدان مباشرةً، أحسبه والله حسيبه.

أبو خليفة رغم أن فيه سِمنًا إلا أن ذلك لم يكن عائقًا أبدًا عن تواجده في الصف الأول، وعن انغماسه في قلب العدو مرارًا وتِكرارًا، وعن تواضعه لإخوانه، وعن عدم رضاه بتقدم أحد في الرصد أمامه، وكيف لا وهو خِريج مدرسة الشيخ مختار الأردني رحمه الله؟ رحمه الله رحمةً واسعة وتقبله في الشهداء..

استشهاده:

في معركة أطلق المجاهدون عليها اسم (وبشر الصابرين) استشهد خلالها بينما هو يعبر باتجاه التل، وقبل أن يصله انفجر فيه لغم أرضي، وكان آخر كلامه قبل انفجار اللغم عبر القبضة بعد أن جبن بعض الشباب: اتقوا الله ولا تجبنوا، هذا يوم النصر يوم الشهادة يوم الجنة.

وكانت جنازته عظيمة لم يبق بيت في حوران إلا وشارك فيها، حتى أحمد العودة والذي كانت بينهما مشاكل.

يقول أبو جعفر: حزنت بصرى بأكملها يوم مقتله، وخرجت جموع غفيرة تشيعه، ربما زاد عدد المشيعين على عشرين ألفا من بصرى وغيرها، وقد قصف النظام المقبرة التي سيدفن فيها مما دعا الناس إلى إعادة جثمانه إلى البيت حتى لا تحدث مجزرة لكثرة عدد الناس، حتى إذا هدأت الأمور دفنه مجموعة من الشباب.

وكان استشهاده كسرة عظيمة للجنوب بل للمسلمين عامة، فقد تغيرت الأمور بعده كثيرا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أصدرت القيادة العامة لأحرار الشام بيان نعي له ولعدد من إخوانه، وهذا نصه:
قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً).

نزف إلى شعبنا الحبيب نبأ استشهاد القائد العسكري لحركة أحرار الشام الإسلامية في القطاع الجنوبي (أبو خليفة بصرى) مع ثلة من إخوانه (أبو اصطيف وأبو الوليد وأبو جلال وأبو أيوب وبقية القافلة الطيبة).

أبو خليفة قائد مقدام اقترن قوله بعمله، تشهد له ساحات الوغى في درعا والقنيطرة، تعرفه ربوع حوران من بصرى إلى اللجاة إلى جباثا الخشب، قاد العشرات من المعارك وانتصر فيها، واليوم يقتل وهو في الصف الأول مقبلا غير مدبر في معركة تحرير التل الأحمر التي خطط لها مع إخوانه وقادها على الأرض، كان يعمل للوصول إلى دمشق وفك الحصار عن الغوطة الغربية، ولكنه يغادرنا اليوم إلى رب كريم لينضم إلى قوافل الشهداء، جاهد من بدايات الثورة ثم انتقل إلى صفوف حركة أحرار الشام الإسلامية ليستلم فيها قيادة المعارك الميدانية وغرفة العمليات ويستشهد معهم.

رحم الله أبا خليفة وإخوانه، وهنيئا لهم ما ظفروا به، وأحسن الله عزاء الشام وأهل الشام بهؤلاء الأبطال القادة.

اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرا منها، إنا لله وإنا إليه راجعون.

حركة أحرار الشام الإسلامية

القيادة العامة

20/ ذو الحجة/ 1436 هـ

الموافق 4/ 10/ 2015م

الخاتمة:

وبعد؛ لقد استشهد أبو خليفة بعد رحلة جهادية مكللة بالصبر والمصابرة وتحمل الشدائد في الله.

- رحل أبو خليفة معرضا عن الدنيا وزخرفها زاهدا بمتاعها، ولو شاء لأترع كأسه من رحيقها المسموم، ولكنه آثر ما عند الله فلم يرض أن يتخوض في مال الله بغير حق.

- رحل أبو خليفة خفيف الظهر من الظلم والتعدي على الحرمات، فكان بأسه على أعداء الله شديدا وكانت رحمته بإخوانه المسلمين عظيمة.

- رحل أبو خليفة ولم يدنس جهاده بمصالحات مع العدو أو تنازلات عن الدين، فقد كان يعلم أن أرض التنازلات زلقة ولن تنتهي بصاحبها إلا في النار.

- رحل أبو خليفة وهو يقاتل العدو ويجاهده في المعركة تلو المعركة، فقد تعلم أن القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو، وأن من أكبر الأخطاء ترك العدو ليسترد أنفاسه، بل يجب أن تكون المعارك متلاحقة متتالية لا تسمح للعدو بالتنظيم والتخطيط وإعادة ترتيب الأوراق.

- رحل أبو خليفة بعد أن أعطى نموذجا حقيقيا للقائد الإسلامي القدوة، فلم يعرف عنه مرة أن قاد جنوده من الخلف، أو جلس في غرف العمليات يعطي التعليمات

دون أن يصلى لهيب المعركة.

- رحل أبو خليفة ولم يداهن في دينه ولم يحاب في شريعة ربه، بل قال عن الخطأ: إنه خطأ، ورفضه ولم تستهوه المناصب ولم تغره الألقاب.

- رحل أبو خليفة فخلّف رحيله فراغا عظيما لا يمكن سده، فرحمه الله رحمة واسعة، وتقبل منه جهاده وبذله وعطاءه، وعوض الأمة خيرا مما فقدت، وجمعنا به مع حبيب رب العالمين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الفهرس

المقدمـــة 1

ولادته ونشأته 2

تسـلمه القيـادة في بصـرى الشـام ثـم القنيطـرة 2

شـجاعته وأهم المعارك التي خاضهـا 3

سرايا الناصرية 4

التل الأحمـر الغربـي 4

صـد النظـام عـن سـرية اليـرزة 4

تنبيـه مهـم 6

معركـة تـل الجابيـة 9

التـل الأحمـر الشـرقي 13

فـك الحصـار عـن جباثـا الخشـب 17

سـرايا رسـم الحلبي 17

تحرير الشـيخ مسـكين 19

تحرير بصـرى الشـام 27

تعيينـه عسـكريا عامـا لجبهـة النصـرة في الجنـوب 27

انشـقاقه وتشـكيل جنـد الملاحـم 27

معركـة اللـواء 52 29

جراحه 29

تعيينه عسـكريا عامـا لأحـرار الشـام 29

أخلاقـه 30

عبادتـه 35

شـهادة الشـيخ الزبيـر الغـزي 36

استشهاده 36

الخاتمة 38